مرتضى الزبيدي
شَارِحُ القَاموسِ
(1145 ـ 1205هـ)

مُرتَضَى الزَّبيديُّ، شَارِحُ مُعجمِ القَاموسِ المُحيطِ لِلفيروزأبادي، الإمامُ العَلَّامةُ، والسَّيدُ الشَّريفُ، وقبلَةُ العِلمِ، وحجَّةُ عُلماءِ أَهلِ زَمانِهِ الَّذِي احتارَتْ بِهِ الأَفهامُ، وهامَتْ بِعلمِهِ وفَضلِهِ نُفوسُ العُلماءِ والعَوام، واحدٌ مِنْ عُلماءِ العربيَّةِ المُتأَخِّرينَ الَّذِيْنَ عاشوا في فَترةِ الحكمِ العُثماني لِبلادِ العربِ والإِسلامِ.

واكتَنَفَتْ حياتَهُ الكراماتُ والغرائِبُ والأَعاجيبُ، وبَدَتْ ـ مِنْ خلالِ ذَلكَ ـ شَخصيَّتُهُ مُحاطَةً بِهالَةٍ كبيرَةٍ مِنَ التَّقديسِ والإِجلالِ كما في حكاياتِ الخَيالِ والأَساطيرِ.

حَقَّقَ الإِمامُ مُرتَضَى الزَّبيديُّ بِعلمِهِ ووَرعِهِ، مِنَ التَّعظيمِ والإِجلالِ في أَعينِ النَّاسِ ونُفوسِهِمْ ما لَمْ يُحقِّقْهُ الأَكابرُ مِنَ الولاةِ والحُكَّامِ والأُمراءِ، فَقَدْ سكنَ قُلوبَ النَّاسِ بِعلمِهِ، وحازَ مَحبَّتَهُمْ، وهَيمَنَ عَلى عُقولِهِمْ بِتفانيهِ في نَشرِ العلمِ، وحرصِهِ عَلى تَعليمِ العامَّةِ والخاصَّةِ أُمورَ دينِهِمْ وأَحكامَ عَقيدتِهِمْ، ومبادئَ لُغَتِهِمُ الَّتِي يَفهمونَ مِنْ خِلالِها أَحكامَ الإِسلامِ في التَّنزيلِ الحكيمِ والسُّنَّةِ النَّبويَةِ المُطهَّرةِ، وصارَ في المعارفِ علماً

كَالمَحجَّةِ البيضاءِ، وقَصدهُ النَّاسُ مِنْ كُلِ حَدبٍ وصوبٍ، وسارَت إليهِ الرُّكبانُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَميقٍ يَسمعونَ مِنهُ أَحكامَ لُغَتِهِمْ ودينِهِمْ، وطافَ بِمجلسِهِ ومَنزلِهِ الوزراءُ والأُمراءُ يَجتبونَهُ ويَحبونَهُ بِما يُجبَى إِليهِمْ مِنْ هَدايا وعَطايا وخيراتِ البِلادِ، وحَسبَ لَهُ الخُلفاءُ والحُكَّامُ أَلفَ حِسابٍ، فَمشوا إِليهِ بِأَرجلِهِمْ، وصارَتْ لِكَلمَتِهِ في نُفوسِهِمْ سُلطاناً وهيبَةً، فَلا يُرَدُّ عندَهُمْ لَهُ طَلبٌ، ولا يُخالفونَ لَهُ في الحادثاتِ رَأياً، ولا يُقدِّمونَ عليهِ في العلمِ أَحداً.

كما أَنَّهُ حَقَّقَ عِندَ أَهلِ مصرَ والمغربِ العربيِّ شَعبيَّةً واسعةً، حَتَّى إِنَّ أَهلَ المغربِ كانوا يَفيضونَ إِليهِ بَعدَ عودتِهِمْ مِنَ الدِّيارِ المُقدَّسةِ، ويَعتقِدونَ أَنَّ حَجَّهُمْ ناقِصاً إِنْ لَمْ يَنزلوا مصرَ ويَزوروا السَّيدَ الشَّريفَ، وسِراجَ العلمِ المُنيرِ، فَريدَ عَصرِهِ، وحُجَّةَ أَهلِ زمانِهِ الإِمامَ العلَّامةَ مُرتَضَى الزُّبيديَّ.

أَقولُ: إِنَّ العلَّامةَ الزُّبيديَّ بَلغَ في العلمِ شأواً عَظيماً، مِمَّا جعلَ بَعضَ العامَّةِ يَتبرَّكونَ بِالقُدومِ عليهِ، أَو بِمُلاقاتِهِ وتَقبيلِ يَديهِ، ورُبَّما مِنْ فَرطِ عِلمِهِ وذَكائِهِ وَجدوا فيهِ الأَحوال والكراماتِ، كما أَنَّ انْتهاءَ نَسبِهِ بِآلِ بيتِ النُّبوَّةِ، أَضفَى عَلَى شَخصِهِ قَدراً عَظيماً مِنَ الإِجلالِ والتَّوقيرِ مِنْ جانبِ النَّاسِ، كُلِّ النَّاسِ الَّذِيْنَ عاصَرَهُمْ وعايَشَهُمْ.

ما يَهمُّنا في هذا المَقامِ أَنْ نُشيرَ إِلى فَضلِ الزُّبيديِّ الكبيرِ بِما قَدَّمهُ مِنْ جُهودٍ في سبيلِ ارتقاءِ وتَطوُّرِ الشَّرحِ المُعجميِّ لأَلفاظِ اللُّغةِ العربيَّةِ؛ فَإِنَّ مُعجَمَهُ الشَّهيرَ بِـ «تاجِ العروسِ» في شَرحِ القاموسِ، كانَ قَفزَةً نوعيَّةً في هذا المضمارِ.

فَمَنْ هوَ مُرتَضى الزُّبيديُّ، وأينَ عاشَ، وما هيَ أَهمُّ معالمِ حياتِهِ؟

هذا ما سَنعرفُهُ في الصَّفحاتِ الآتيَةِ.

❋ ❋ ❋

هوَ الشَّيخُ الجليلُ، والعالمُ الفَهيمُ، والسَّيدُ الشَّريفُ، أَبو الفَيضِ محمَّدُ بنُ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ الرَّزاقِ الحُسينيُّ الزَّبيديُّ، المُلقَّبُ بِـ «مُرتَضَى»، وهوَ مِنَ الأَشرافِ، يَنتَهي نَسبُهُ إِلى الإِمامِ زَينِ العابدينَ ابنِ الإِمامِ الحُسينِ ابنِ الإِمامِ عَليٍّ بنِ أَبي طالبٍ رضوان الله عليهم جَميعاً.

ويَذكُرُ «عَبدُ الحيِّ الحُسينيُّ» في كتابِهِ «نُزهةِ الخواطرِ وبَهجةِ المسامعِ والنَّواظرِ» إِلَى أَنَّهُ مِنْ أَحفادِ العالمِ الكبيرِ، والشَّيخِ الجليلِ «قادري بنِ ضياءِ اللهِ الحُسينيِّ الواسطيِّ البَلكراميِّ»[1].

والزَّبيديُّ نسبَةً إِلى بَلدتِهِ الَّتِي نَشأَ وتَرعرَعَ فيها بَلدةِ «زُبيدٍ» في اليَمنِ. ويَقولُ المُؤرِّخُ «عبدُ الرَّزاقِ البيطارُ» في كتابِهِ «حليَةِ البَشرِ في أَعيانِ القرنِ الثَّالثِ عَشر» فيه: «الإِمامُ الفاضلُ، والهُمامُ الكاملُ، قالَ صاحبُ «عَجائبِ الآثارِ» في تَرجمةِ هذا السَّيدِ المعدودِ مِنَ الأَخيارِ: هوَ عَلَمُ الأَعلامِ، والسَّاحرُ اللَّاعبُ بِالأَفهامِ، الَّذِي جابَ في اللُّغةِ والحديثِ كُلَّ فَجٍّ، وخاضَ مِنَ العلمِ كُلَّ لُجٍّ، المُذلَّلُ لَهُ سُبُل الكلامِ، الشَّاهدُ لَهُ الوَرقُ

(1) هوَ مِنْ كبار مشايخ الطريقة القادرية، ولدَ ونشأ بمدينة بلكرام وأخذ العلم عن والده وزار الحرمين ثم كربلاء وبلاد الشام وبغداد. توفي سنة 1145هـ ودفن في بلكرام، وأصله من مدينة واسط في العراق.

والأَقلامُ، ذو المعرفَةِ والمَعروفِ والعلمِ المَوصوفِ، العمدةُ الفَهَّامَةُ والسَّندُ العلَّامةُ، الفَقيهُ المُحدِّثُ، اللُّغويُّ النَّحويُّ الأُصوليُّ، النَّاظمُ النَّاثرُ».

ويَرجعُ أَصلُ الإِمامِ «مُرتَضَى الزُّبيديِّ» إِلى مَدينةِ (واسط) في العراقِ، ولَكِنَّ أَحدَ أَجدادِهِ سافرَ وأَقامَ في بِلادِ الهندِ لأَمرٍ ما لَمْ يَذكرْهُ المُؤَرِّخُونَ، رُبَّما بِسبَبِ سياسَةِ الاضطهادِ الَّتِي كانَ يُلاقيها أَعلامُ آلِ البيتِ مِنَ الحُكَّامِ والخُلفاءِ، فَهاجرَ كثيرٌ مِنْهُم إِلى بِلادِ الإِسلامِ النَّائيَةِ، بَعيداً عَنْ سَطوةِ الحُكَّامِ.

ولِدَ السَّيدُ «مُرتَضَى الزُّبيديُّ» في مَدينةِ بَلكرامَ الهنديَّةِ (وهيَ في باكستانَ حالياً) حيثُ كانَتْ تُقيمُ عائِلَتُهُ سنةَ (1145) هجريَّةً، وبَعدَ ولادتِهِ بِعدَّةِ سَنواتٍ سافرَ معَ ذَويهِ إِلى مدينةِ «زبيدٍ» في اليَمنِ فَنشأَ وتَرعرَعَ فيها، وكانَتْ مَدينةُ «زبيدٍ» ثاني أكبرِ مُدنِ اليَمنِ حينَها، وأَكثرها أَهميَّةً بَعدَ العاصمةِ صَنعاءَ، وكانَتْ مُلتَقَى التِّجاراتِ لأهلِ اليَمنِ القادمةِ مِنَ الحبشةِ ومِنَ الحجازِ، وتُشكِّلُ العَصبَ الاقتصاديَّ لِلبلادِ، هذا إِلى جانبِ أَهميَّتِها الثَّقافيَّةِ والعلميَّةِ، حيثُ كانَتْ تَعجُّ بِالعُلماءِ، ونُسِبَ إِليها كثيرٌ مِنَ العُلماءِ الَّذِيْنَ كانَ لَهُمْ حُضورُهُمْ عَلى صَفحاتِ التَّاريخِ العربيِّ والإِسلاميِّ، فَتَنقَّلَ «مُرتَضَى الزُّبيديُّ» بينَ عُلماءِ ومَشايخِ مَدينةِ «زبيدٍ» حَتَّى إِذا ما شَبَّ عنِ الطَّوقِ قَصدَ بِلادَ الحجازِ يَطلبُ مَزيداً مِنَ العلمِ، فَنزلَ في مَكَّةَ والتَقَى فيها بِالمُحدِّثِ والفَقيهِ «عَبدِ الرَّحمنِ العيدروسِ»[1] وقَرأَ عليهِ

(1) هو قطب العارفين أبو الفضل وجيه الدين عبد الرحمن بن مصطفى بن زين العابدين الشافعي الحسيني المُحدّث والمربي الفاضل، جال في البلاد العربية والإسلامية ودرَس فترة في الحرم المكي. وكانت وفاته بمصر سنة 1192هـ.

مُدَّةً، فَأَجازَهُ الشَّيخُ العيدروسُ بِمَروياتِهِ، وعندما وَجدَ الشَّيخُ العيدروسُ رغبَةً عارمةً في تَحصيلِ مَزيدٍ مِنَ المعرفَةِ، وكَذلِكَ في نَشرِ ما تَعلَّمَهُ بينَ النَّاسِ عندَ تلميذِهِ، نَصَحَهُ بِالذَّهابِ إِلى مِصرَ، فَرحلَ مِنْ مَكَّةَ إِليها، كما التَقَى «الزُّبيديُّ» بِعدَّةِ عُلماءَ غيرِ شَيخِهِ العيدروسِ، ونَهلَ مِنْ عُلومِهِمْ ومَعارفِهِمْ، وأَشهرِهِم:

الشَّيخُ العلَّامةُ «عبد اللهِ السَّنديُّ»، والشَّيخُ «عمَرُ بنُ أَحمدَ بنِ عقيلٍ المكيُّ»، والشَّيخُ «سُليمانُ بنُ يَحيَى»، و«ابنُ الطَّيِّبِ»، والمُسندُ «مُحمَّدُ بنُ عَلاءِ الدِّينِ المزجانيُّ»، وسَمعَ في الطَّائِفِ إِلى الشَّيخِ «عبدِ اللهِ الميرغَني الطَّائفيِّ».

❋ ❋ ❋

لَقَدِ استقبَلَ أَهلُ مصرَ «مُرتَضَى الزُّبيديَّ» خيرَ استقبالٍ، ولاقَى عِندَهُمُ الحَفاوَةَ والإِكرامَ لِما وَجدوا فيهِ مِنْ علمٍ زاخرٍ، ولِكونِهِ مِنْ أَقطابِ آلِ بيتِ النُّبوَّةِ، وأَيضاً لأَنَّهُ تلميذُ الشَّيخِ العيدروسِ الَّذِي كانَ صيتُهُ العلميُّ يَضربُ في طولِ البِلادِ الإِسلاميَّةِ وعَرضِها آنذاكَ.

وكما يَذكرُ المُؤرِّخُ «عبد الرزاقِ البيطارُ» الَّذِي كانَ مُعاصراً لِلزُّبيديِّ أَنَّ السيَّدَ «مُرتَضَى الزُّبيديَّ» وَردَ مصرَ سنةَ (1167) هجريَّةً، وسكنَ بِخانِ الصَّاغَةِ في القاهرةِ، وبَدأَ يَسمعُ إِلى مَشايخِ العلمِ المَشهورينَ في الدِّيارِ المِصريَّةِ آنذاكَ، فَأَخذَ العلمَ عَنِ الشَّيخِ «البليديِّ» والشَّيخِ «الصُّعيديِّ» والشَّيخِ «المُدابغيِّ» وعَنِ العالمِ «أَحمدَ الملَوي»، وأيضاً «الجوهريِّ»، ومِنْ ثمَّ أَجازوهُ بِما تَلَقَّى مِنهُمْ مِنْ علومٍ، وشَهدوا بِعلمِهِ وفَضلِهِ وجودةِ

حفظِهِ، واعتَنَى بِهِ كثيراً والي مِصرَ العُثمانيُّ «إسماعيلُ كَتخدا» حَتَّى راجَ أَمرُهُ وتَرونَقَ حالُهُ، ولبسَ المَلابسَ الفاخرةَ، ورَكبَ الخيولَ المُسوَّمةَ، وزارَ المُدنَ المصريَّةَ الكُبرَى في الصَّعيدِ، والسَّاحلِ، فاشتُهرَ ذكرُهُ عِندَ العامَّةِ والخاصَّةِ، وأَحبَّهُ النَّاسُ وبَجَّلوهُ كثيراً لِما لَمسوا مِنْهُ مِنْ أَحوالٍ وكَراماتٍ، وحرصٍ وتَفانٍ عَلى نَشرِ العلمِ وتَأديبِ الصِّبيانِ والشَّبابِ، حَتَّى إِنَّهُ لاقَى الحفاوَةَ مِنَ العربِ العرباءِ فَأَكرمَهُ شَيخُ العربِ «هُمامُ»، وكانَ يُستقبَلُ في المُدنِ والقُرَى والبَوادي استقبالَ المُلوكِ والأُمراءِ.

كما كانَتْ حَلقتُهُ العلميَّةُ عامرَةً بِالأَكابرِ والأَعيانِ، الَّذِيْنَ يَفدونَ إِليهِ لِسماعِ دروسِهِ ومواعظِهِ مِنْ كُلِّ ناحيةٍ، وكانوا يُغدقونَ عليهِ بِالهدايا وهوَ يُظهرُ لَهُمُ الغِنَى والتَّعفُّفَ، كما راسلَهُ وكاتبَهُ مُلوكُ الحجازِ والهندِ واليَمنِ والشَّامِ والمَغربِ الأَقصَى والتُّركِ والسُّودانِ والجزائِرِ، وترادَفَتْ عليهِ المُراسلاتُ مِنْ أَكابرِ الدَّولَةِ وواصلوهُ بِالهدايا والتُّحفِ الثَّمينَةِ والنَّادرةِ، فَكانَ يُرسلُ بَعضَها إِلى أَولادِ السُّلطانِ عبد الحميدِ الأَوَّلِ في الأَستانَةِ.

وأَرسلَ إِليهِ مَلكُ المَغربِ مولاي مُحمَّد ذاتَ مَرَّةٍ هَدايا ثَمينَةً وغاليَةً، فَرَدَّها «الزَّبيديُّ» إِليهِ ولَمْ يَقبلْها، بَلْ كانَ أَهلُ المَغربِ يَفدونَ إِليهِ ويَعتقدونَ فيهِ الولايَةَ والقُطبيَّةَ، وكانوا يَزعمونَ مِنْ فَرَطِ مَحبَّتِهِمْ لَهُ، أَنَّ مَنْ حَجَّ إِلى الدِّيارِ المُقدَّسَةِ ولَمْ يُعرِّجْ عليهِ في مصرَ لِزيارتِهِ، وتَقبيلِ يَديهِ فحَجُّهُ ناقِصٌ.

كما كانَ بَعضُ عُلماءِ الأَزهرِ في مصرَ يَقصدونَهُ لِلقراءَةِ عليهِ، ولأَخذِ الإِجازة مِنْهُ؛ لأَنَّ إِجازَتَهُ كانَتْ تُعدُّ أَعلَى دَرجاتِ الدِّراسةِ والتَّعلُّمِ، وتُعادلُ شَهادةَ الدُّكتوراه في عَصرنا

هَذا؛ لأَنَّهُ كانَ يَروي الأَحاديثَ بِمتونِها وأَسانيدِها، وبِتَعدُّدِ رِجالاتِها وطُرقِ رِواياتِها، ويُسنِدُ الآراءَ العلميَّةَ في شَتَّى العلومِ والمَعارفِ إِلى أَصحابِها بِحُجَجِها وأَسبابِها ومُسبِّباتِها، ويَذكُرُ المُناسباتِ أَو الحادثاتِ الَّتِي قيلَتْ فيها، وكلُّ ذَلكَ يَقولُهُ عَنْ ظَهرِ قَلبٍ.

❋ ❋ ❋

لَقَدْ كانَ أَهمَّ عَملٍ قامَ بِهِ «الزَّبيديُّ» في حياتِهِ، شَرحُهُ لِمُعجمِ القاموسِ المُحيطِ لِلفَيروزأبادي، وكَذلِكَ أَيضاً شرحُهُ لِكتابِ إِحياءِ علومِ الدِّينِ لِلغزاليِّ، فَهذانِ العَملانِ أَعطياهُ شُهرةً واسِعةً في كافَّةِ البُلدانِ الإِسلاميَّةِ، وكانَ مَجلسُهُ أَثناءَ شَرحِها يَكتَظُّ بِالشُّيوخِ والعُلماءِ والأَعيانِ فَضلاً عَنِ الطُّلابِ وعامَّةِ النَّاسِ، كَما كانَ لِوفاةِ زَوجَتِهِ «زُبيدةَ» أَثرٌ كبيرٌ في تَعاطُفِ النَّاسِ مَعهُ، والِتفافِهِمْ حَولَهُ لِسماعِ الشعرِ العاطفيِّ العذريِّ الَّذِي أَكثرَ مِنِ ارتجازِهِ بَعدَ فَقدِهِ مَحبوبَتَهُ وشَريكَةَ عُمرِهِ، حَتَّى صارَتْ زَوجَتُهُ السَّيدةُ «زُبيدةُ» مَثلاً سائِراً بينَ النَّاسِ يُطلقونَهُ عَلى المرأةِ المُعتدَّةِ بِجمالِها أَو حَسبِها ونَسَبِها، فَقَدْ دَفَنها في القاهرةِ قَريباً مِنْ مَشهدِ السَّيدَةِ «رُقيَّةَ» وضَربَ فَوقَهُ قُبَّةً، وبَنَى عندَهُ بيتاً صَغيراً أَقامَ فيهِ عدَّةَ أَيامٍ بَعدَ موتِها، واجتَمعَ عندهُ النَّاسُ والقُرَّاءُ والمُنشدونَ، وعملَ لَهُمُ الأَطعمةَ والثَّريدَ والشَّرابات، وقَصدَهُ الشُّعراءُ بِالقَصائِدِ والمَراثي، كما رَثاها بِعدَّةِ قَصائِدَ عَلى طَريقَةِ شعرِ مجنونِ ليلَى، فَمِمَّا قالَهُ في رِثائِها:

يَقولونَ: لا تَبكِ زُبيدةَ واتَّئِدْ وسَلْ هُمومَ النَّفسِ بِالذِّكرِ والصَّبرِ

وتَأتي لي الأَشجانُ مِنْ كُلِّ وجهَةٍ بِمختلفِ الأَحزانِ بِالهَمِّ والفكْرِ
أَبَى الدَّمعُ إِلَّا أَنْ يُعاهِدَ أَعيُني بِمحجرِها والقَدرُ يَجري إِلى القَدْرِ
فَأَما تَروني لا تَزالُ مَدامعي لَدَى ذِكرِها تَجري إِلى آخرِ العُمْرِ

ورغمَ أَنَّهُ تَزَوَّجَ بَعدها، فَإِنَّهُ لَمْ يَنسها، وكانَ يَتردَّدُ ويُقيمُ عِندَ قَبرِها بينَ الفترةِ والأُخرَى، وفي آخرِ عُمرِهِ اعتزلَ النَّاسَ، ومَكثَ في بيتِهِ لا يَخرجُ مِنهُ حَتَّى وفاتِهِ، بَعدَ أَنْ أصيبَ بِمرضِ الطَّاعونِ سنةَ (1205) هجريَّةً، تاركاً وراءَهُ ثَروَةً علميَّةً لا تُقدَّرُ بِثمنٍ، أَفادَ بِها المَكتبةَ العربيَّةَ والإِسلاميَّةَ عَلى مَرِّ الأَجيالِ والعُصورِ.

❁ ❁ ❁

لَقَدْ كانَ «مُرتَضى الزَّبيديُّ» موسوعةً علميَّةً، أَحاطَ بِمعارفِ عَصرِهِ إِحاطَةَ السِّوارِ مِنَ المعصمِ، وتَمَكَّنَ مِنْ كُلِّ علمٍ تَمَكُّنَ الطَّيرِ مِنَ الشَّجرِ، فَأَصبحَ يُغرِّدُ في سَماءِ العلمِ والمعرفَةِ وهوَ يَتنَقَّلُ مِنْ رَوضَةٍ إِلى أُخرَى، فَتَعدَّدَتْ مُؤلَّفاتُهُ ومُصنَّفاتُهُ في كُلِّ عِلمٍ مِنْ علومِ اللُّغةِ والشَّريعةِ، وكانَ أَهمُّها:

1 ـ تاجُ العروسِ مِنْ جواهرِ القاموسِ: في عشرِ أَجزاء، وكانَ الباعثَ الَّذِي دفعَ «الزَّبيديَّ» لِشرحِ قاموسِ الفيروزآبادي إِتمامُ النَّقصِ الَّذِي تَركَهُ الفيروزآبادي في قاموسِهِ، وكَذلكَ رَدُّ الاعتبارِ لِلجوهريِّ صاحبِ الصِّحاح الَّذِي انْتَقصَ مِنْ قَدرِهِ الفيروزآبادي وهوَ يَشرحُ مُعجمَ الصِّحاحِ لِلجوهريِّ، فَوضَعَ «الزَّبيديُّ» تاجَهُ الَّذِي يشرحُ فيهِ القاموسَ مُستَدركاً ما فاتَ الفيروزآبادي في قاموسِهِ. وفي مُقدِّمةِ التَّاجِ عَمدَ إِلى مَدحِ الجوهريِّ.

ومِنَ البَواعثِ الَّتِي دَفعَتِ «الزَّبيديَّ» أَيضاً إِلى شَرحِ القاموسِ اعتقادُهُ أَنَّ اللُّغةَ العربيَّةَ أَصلُ جَميعِ العُلومِ، وخاصَّةً عُلومِ الدِّينِ والشَّرعِ. يَقولُ «الزَّبيديُّ» بِهذا الصَّدَدِ في مُقدمَّةِ التَّاجِ: إِنَّني لَمْ أَقصدْ سِوَى هذِهِ اللُّغةِ الشَّريفةِ؛ إِذْ عَليها مَدارُ أَحكامِ الكتابِ العزيزِ، والسُّنةِ النَّبويَةِ الشَّريفَةِ.

اعتمَدَ «الزَّبيديُّ» في تَرتيبِ تاجِ العروسِ عَلى النَّسقِ ذاتِهِ الَّذِي اعتَمدَهُ الأَبادي في قاموسِهِ، فَبدأَ بِبابِ الهمزةِ، ثُمَّ بِفصلِ الباءِ مِنْ بابِ الهمزةِ، وهكذا هَلُمَّ جرا.

ويُقَالُ: إِنَّ «الزَّبيديَّ» عندما انتهَى مِنْ وَضعِ «تاجِ العروسِ» أَولَمَ وليمةً كبيرَةً جَمعَ فيها طُلَّابَ العلمِ ومَشايخَ الوَقتِ، وذَلكَ في سنةِ (1181) هجريَّةً.

2 ـ إِتحافُ السَّادةِ المُتَّقينَ في شرحِ إِحياءِ علومِ الدِّينِ: في عشرِ مُجلَّداتٍ أَيضاً، وكانَ لِشرحِ كتابِ الإِحياءِ لِلغزاليِّ، أَثرٌ كبيرٌ في إِقبالِ أَتباعِ الطُّرقِ الصُّوفيَّةِ والتفافِهِمْ حولَ «الزَّبيديِّ» وحضورِ مَجلسِهِ حينَها، وبِشكلٍ خاصٍّ إِمام الطُّرقِ الصُّوفيَّةِ في الدِّيارِ المَصريَّةِ وأَتباعه.

3 ـ وللزَّبيديِّ مُؤلَّفاتٌ أُخرَى في علومٍ مُختلفَةٍ ذَكرها المُؤَرِّخُونَ، مِنها:

ـ في علمِ الحديثِ والرِّوايةِ:

ـ شرحُ أَسانيدِ كُتبِ الحديثِ السِّتةِ.

ـ كشفُ اللِّثامِ عَنْ آدابِ الإِسلامِ.

ـ عقدُ الجمانِ في بيانِ شُعبِ الإِيمانِ.

ـ بلغةُ الغريبِ في مصطلحِ آثارِ الحبيبِ.

ـ وفي التَّاريخِ:

ـ جذوةُ الاقتباسِ في نسبِ بَني عباسٍ.

ـ الرَّوضُ المعطارُ في نَسبِ آلِ جعفرِ الطَّيارِ.

ـ مُزيلُ نِقابِ الخفاءِ عَنْ كِنَى ساداتِنا بَني الوفاءِ.

ـ وفي اللُّغةِ:

ـ مُختصرُ كتابِ العينِ لِلفراهيدي.

ـ التَّكملةُ والصِّلةُ والذَّيلُ لِلقاموسِ.

ـ وفي الفقهِ وأُصولِهِ:

ـ عقودُ الجواهرِ المُنيفةِ في شرحِ أَدلَّةِ أَبي حنيفةَ.

ـ نَشوةُ الارتياحِ في بيانِ حَقيقَةِ الميسرِ والقِداحِ.

الأسئلة والمناقشة

1 ـ ماذا اكتَنَفَتْ حياةُ الزُّبيديِّ، وكيفَ بَدَتْ شَخصيَّتُهُ؟

2 ـ لِماذا حازَ الزُّبيديُّ مَحبَّةَ النَّاسِ لَهُ؟

3 ـ كيفَ كانَ أَهلُ المَغربِ يَنظرونَ إِلى الزُّبيديِّ ويَعتقدونَ فيهِ؟

4 ـ إِلَى مَنْ يَنتهي نسب الزُّبيديِّ؟

5 ـ كيفَ كانتْ مدينةُ زبيدٍ عندما وفدَ الزُّبيديِّ إِليها؟

6 ـ لِماذا رحلَ الزُّبيديُّ إِلى الحجازِ ثُمَّ إِلى مصرَ؟

7 ـ ما هيَ أَسبابُ إِجلالِ أَهلِ مصرَ لِلزُّبيديِّ؟

8 ـ ما هيَ البواعثُ الَّتِي دفعَتِ الزُّبيديَّ لِتأَليفِ لِشرحِ القاموسِ المُحيطِ؟